International Journal of Multidisciplinary Research and Growth Evaluation.

Ferdowsi University Mashhad/ The second International Conference
Artificial Intelligence: Between Scientific Innovation and Human Responsibility

The Great Mosque of Kufa: The Sanctity of the Place and the Symbolism of History

MM Enam Subaih
Al-Kufa Grand Mosque, Iraq

* Corresponding Author: **MM Enam Subaih**

Article Info

ISSN (Online): 2582-7138
Impact Factor (RSIF): 7.98
Volume: 06
Issue: 06
November - December 2025
Received: 25-09-2025
Accepted: 27-10-2025
Published: 24-11-2025
Page No: 163-168

Abstract
The Grand Mosque of Kufa represents a magnificent divine edifice whose significance transcends being merely a place of worship, transforming it into a living record of the history of religions and a geographical spot where the spiritual memory of humanity converges.
Trusted sources describe it as "the spot that God has blessed," the place that Almighty God specially chose to be a landing site for the prophets, a prayer place for the angels, and a center for successive heavenly messages.
The roots of this site's sanctity extend back to the dawn of humanity; it was a house and temple for the Prophet of God, Adam (peace be upon him), and his son, the Prophet of God, Seth (the Gift of God), and the pure ones from their lineage. This sanctity then passed, at a pivotal moment, to the era of the Prophet of God, Noah (peace be upon him), where the mosque became his home and place of worship. It was in this very place that he built his ark – the symbol of salvation – and from here "the oven gushed forth" as a sign announcing the great event (the Flood). To this place is attributed the saying of Noah (peace be upon him) that the Noble Qur'an has immortalized in its decisive Book: ﴿My Lord, forgive me and my parents and whoever enters my house a believer﴾ (Sūrah Nūḥ, verse 28) – a statement carrying profound meaning about the symbolism of "the house," which transcends the physical sense and reaches the meaning of faith.
Sources also indicate that this spot lies within the land purchased by the Prophet of God, Abraham the Friend (peace be upon him and his Family), thus linking the place to "the Father of the Prophets" as well. This spiritual connection has never been severed throughout the ages; rather, the site was honored by the presence of the Chosen Prophet (blessings of God be upon him and his Family) during the Night Journey and Ascension (al-Isrāʾ wa al-Miʿrāj), where congregational prayer was performed under his imamate – an event that confirms the continuity and inheritance of its sanctity.

Keywords: Kufa Mosque – Sanctity, Prophecy, Justice, Martyrdom, Governance, Shiism

1. Introduction

لا يقتصر تاريخ مسجد الكوفة على كونه أثراً معمارياً، بل هو محور لتقاطعات سياسية ودينية شكلت هوية العالم الإسلامي. تكمن الإشكالية التي يسعى هذا البحث لمعالجتها في السؤال التالي: كيف استطاع مسجد الكوفة أن يحافظ على مركزيته الروحية والرمزية، وأن يظل فاعلاً في الذاكرة الدينية والسياسية، رغم التقلبات العنيفة التي شهدتها مدينة الكوفة نفسها، من كونها عاصمة للخلافة إلى تعرضها للإهمال النسبي في عصور لاحقة؟

إن البحث في تاريخ هذا المسجد ليس مجرد استعراض للأحداث، بل هو غوص في مفهوم "الجغرافيا المقدسة" (Sacred Geography) في الإسلام. كيف يمكن لمكان مادي أن يكتسب كل هذه "الطبقات" من القداسة؟ وكيف تفاعلت هذه القدسية مع الأحداث السياسية الكبرى كالتأسيس، والخلافة، والشهادة، وحتى الانتهاك

(كما في حادثة القرامطة)؟
وتبرز أهمية هذا البحث في كونه لا يوثق تاريخ المسجد فحسب، بل يحلل "فلسفة القداسة" وكيف يمكن لمكان أن يختزل تاريخ الأديان (من آدم إلى الخاتم)، ويصبح رمزاً للعدل (خلافة علي)، وللفداء (استشهاد مسلم وهاني)، وللانتظار (رمزية باب الحجة).

منهجية البحث وهيكله

للإجابة على هذه الإشكالية، سيعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي، مستنداً إلى المنهج التاريخي في تتبع الأحداث. سيقوم المنهج الوصفي برسم صورة دقيقة للمعالم المادية والروحية للمسجد، بينما سيعمل المنهج التحليلي على تفكيك دلالات الروايات والأحداث التاريخية المرتبطة به.

ويتعمق في ذروة مجده كمركز للخلافة العلوية. يبدأ البحث بتناول جذور القدسية (المقدمة)، ثم ينتقل إلى التأسيس الإسلامي وأصل التسمية (الفصل الأول) (الفصل الثاني). ثم يصف معالمه المادية والمعمارية وتحليل رمزيتها (الفصل الثالث). ويغوص في تفاصيل مقاماته الروحية والقصص المرتبطة بها (الفصل الرابع). ويستعرض تاريخه وتقلباته بعد عصر الخلافة (الفصل الخامس)، قبل أن يختتم بتحليل فضله ومكانته في الروايات والأحكام (الفصل السادس).

الفصل الأول: التأسيس الإسلامي وأصل التسمية

جاء التأسيس الإسلامي لمدينة الكوفة ومسجدها في سياق تاريخي مفصلي، متزامناً مع طلائع الفتح الإسلامي لبلاد النهرين (أرض السواد)، والتي كانت تمثل قلب الإمبراطورية الساسانية وعمقها الاستراتيجي والاقتصادي.

أصل التسمية ودلالاتها 1.1

الكوفة". يقدم ابن منظور في "لسان العرب" تفسيراً لغوياً يفتح الباب لفهم طبيعة " قبل الخوض في عملية التخطيط والبناء، لا بد من التوقف عند دلالة الاسم المكان. فـ "الكوفة" لغةً هي "الرملة المجتمعة" أو "الرملة الحمراء". ويضيف ابن منظور بعداً اجتماعياً وعسكرياً لهذا المصطلح، إذ يُقال إنها سُميت بذلك لأن الصحابي سعد بن أبي وقاص، عندما ارتادها بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب، قال: "تكوفوا في هذا المكان"، أي اجتمعوا فيه (ابن منظور، لسان العرب، ج٩، ص١٨٨-١٨٩).

هذه التسمية المزدوجة (الطبيعية والاجتماعية) تحمل في طياتها هوية المدينة. فهي "رملة" (دلالة على طبيعتها الجغرافية الصحراوية القريبة من الفرات)، وهي مكان "للتكوف" (الاجتماع)، مما يعكس وظيفتها الأساسية التي أُنشئت من أجلها: أن تكون "مِصراً" جامعاً للجيوش الإسلامية ومنطلقاً للفتوحات، ومركزاً إدارياً للمناطق المفتوحة حديثاً.

السياق التاريخي: الحاجة إلى "مِصر" جديد 1.2

يؤكد المؤرخون، مثل البلاذري، أن تأسيس مدينة الكوفة جاء في أعقاب الانتصار الحاسم على الدولة الساسانية في معركة القادسية، وما تلاها من فتح للعاصمة المدائن". شكلت المدائن، بحضارتها العريقة ومناخها الرطب، تحدياً للمقاتلين العرب القادمين من الصحراء".

مِصر" (قاعدة عسكرية ومدنية) جديد، على غرار البصرة في الجنوب أو الفسطاط في مصر. وقد تم اختيار موقع الكوفة (في صدر 'وهنا برزت الحاجة إلى إنشاء الإسلام، حوالي ١٧-١٩ هـ) بناءً على معايير استراتيجية وصحية دقيقة. يشير البلاذري إلى أن الاختيار جاء ليكون الموقع ذا مناخ صحي (بعيداً عن رطوبة المستنقعات)، وفي نفس الوقت قريباً من مصدر مياه حيوي (نهر الفرات)، وسهل الاتصال بالجزيرة العربية عبر الصحراء (البلاذري، فتوح البلدان، ص ص٢٧٤-٢٧٥). كان الهدف هو إيجاد بيئة صحية للجند، وتأمين خطوط الإمداد والاتصال مع مركز الخلافة في المدينة المنورة.

تخطيط المدينة والمسجد كمركز للخطة 1.3

بامتياز، عكست الفكر الإداري والعسكري للدولة الإسلامية الناشئة. وكان (Planned City) 'لم تكن الكوفة مجرد مستوطنة عشوائية، بل كانت "مدينة مخططة المسجد هو النواة والمرتكز الذي دارت حوله الخطة بأكملها.

تؤكد المصادر التاريخية (صالح، نشأة الثقافة العربية، ص٢٠) أن المسجد كان هو أول ما بُني في المدينة. قام المؤسس سعد بن أبي وقاص بتحديد حدوده بنفسه، في عملية تمزج بين التخطيط الهندسي والرمزية الدينية. لم يكن التحديد عشوائياً، بل تذكر الروايات أنه أمر برمي أربعة سهام باتجاه القبلة والاتجاهات الأخرى، لتحديد المساحة الأولية للمسجد.

الرحاب" (الساحات)، ثم "خطط" القبائل المقاتلة (مثل كندة، "هذه الطريقة في التخطيط، بجعل المسجد في المركز، ومن حوله "دار الإمارة" (مقر الحاكم)، ثم ربيعة، ومذحج)، جعلت المسجد ليس فقط مكاناً للعبادة، بل مركزاً للحكم (دار الإمارة ملتصقة به)، وساحة للتعبئة العسكرية، وسوقاً للعرب، ومدرسة لتعليم الدين. لقد كان المسجد هو قلب الكوفة النابض منذ لحظة التأسيس الأولى، مما هيأه ليلعب الدور الأعظم في تاريخه لاحقاً.

الفصل الثاني: المسجد كمركز للخلافة العلوية

بلغ مسجد الكوفة ذروة مجده التاريخي، وانتقل من كونه مركزاً لـ "مِصر" إسلامي إلى كونه "عاصمة العالم الإسلامي"، وذلك عندما اتخذه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) مركزاً للخلافة الإسلامية بعد انتقاله من المدينة المنورة إلى الكوفة في حوالي عام 36هـ. هذا الانتقال لم يكن مجرد تغيير جغرافي لمقر الحاكم، بل كان تحولاً في طبيعة الدولة ورمزيتها، وأصبح المسجد هو القلب النابض لهذه الخلافة.

عاصمة الخلافة: المسجد مقراً للحكم والقرار 2.1

لم تكن "دار الإمارة" المجاورة هي مركز (Capital Mosque). بمجرد وصول الإمام علي (عليه السلام) إلى الكوفة، أصبح المسجد هو المقر الفعلي للحكم القرار الحقيقي بقدر ما كان "منبر المسجد". من على هذا المنبر الشريف، صدحت إرشادات الإمام وخطبه وتوجيهاته التي لم تكن مواعظ دينية فحسب، بل كانت بيانات سياسية، وتعاميم إدارية، واستراتيجيات عسكرية.

توضح المصادر أن الإمام (عليه السلام) استخدم منبر المسجد كأداة حكم رئيسية. فمنه أعلن سياساته المالية، ومنه حاكم ولاته، وفيه كان يقضي بين الناس. هذا أسس لنموذج فريد، حيث تتداخل السلطة الروحية مع السلطة الزمنية بشكل كامل، وحيث يكون (Seat of Power) 'الاستخدام المكثف للمسجد كـ "مركز حكم الحاكم في متناول الرعية بشكل مباشر، بلا حواجز أو قصور.

المنبر كمنصة للعدالة والسياسة الرشيدة 2.2

لم تكن خطب الإمام (عليه السلام) مجرد خطب رنانة، بل كانت برامج عمل. من على هذا المنبر، أعلن سياسته الشهيرة في المساواة في العطاء، ورفض ومنه كان يوجه ولاته، كما في عهده لمالك الأشتر، الذي يعتبر دستوراً للحكم الرشيد. كانت خطبه (التي جُمع جزء كبير منها لاحقاً) تمثل الرؤية المحسوبية السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة، وكان المسجد هو "البرلمان" و "المنصة الإعلامية" التي تُعلن منها هذه الرؤى.

المنبر كأداة للتعبئة السياسية والعسكرية 2.3

لم يقتصر دور المنبر على الجوانب الروحية والإدارية، بل كان المنصة الإعلامية والسياسية والعسكرية الأولى للدولة. في ظل التحديات الجسيمة التي واجهت خلافته، استخدم الإمام (عليه السلام) المسجد كمركز للتعبئة العامة.

فعندما جاءه خبر اعتداء جيش معاوية على مدينة الأنبار وقتل عامله عليها، وتقدم لنا المصادر التاريخية، مثل "فتوح البلدان" للبلاذري، أمثلة حية على ذلك صعد الإمام المنبر وخطب في الناس خطبة شهيرة "تثاقلتم إلى الأرض"، حاثاً إياهم على الجهاد والنصرة. كان المسجد هو المكان الذي تتحول فيه الكلمة إلى طاقة، وتتحول فيه العقيدة إلى جيش. لم يكن المسجد مكاناً للصلاة المنعزلة عن الواقع، بل كان "غرفة عمليات" سياسية وعسكرية تدير شؤون أمة مترامية الأطراف.

الكوفة كعاصمة فكرية في ظل الخلافة 2.4

بوجود الإمام (عليه السلام) في الكوفة، لم يصبح المسجد عاصمة سياسية فحسب، بل تحول إلى "جامعة" مفتوحة. أصبحت الكوفة، انطلاقاً من مسجدها، مركزاً للثقافة العربية الإسلامية التي أشار إليها عمر أمجد صالح (نشأة الثقافة العربية، ص ٢٠). في هذا المسجد، وُضعت بذور المدارس الفكرية الكبرى

كان الإمام (عليه السلام) يجلس فيه يعلّم الناس، ومن حلقاته العلمية تفرعت علوم الفقه، والتفسير، واللغة. يُشار إلى أن النواة الأولى لعلم النحو العربي (بإشارة من الإمام لأبي الأسود الدؤلي) انطلقت من هذا المناخ الفكري. لقد تحولت الكوفة في عهده من "معسكر" (كما أُريد لها عند التأسيس) إلى "عاصمة فكرية" بامتياز، وكان المسجد هو قاعة الدرس والمناظرة.

2.5 محراب الاستشهاد: رمزية الفداء وتخليد المأساة

ففي محراب المسجد، وأثناء أقدس العبادات (صلاة الفجر)، وفي أشرف شهر مسجد الكوفة أعظم فاجعة في تاريخه، وهي الحدث الذي ختم هذا العصر الذهبي الشهور (شهر رمضان)، تخضبت الشيبة المقدسة للإمام (عليه السلام) من دماء رأسه الشريف، إثر الاعتداء الأثيم من قبل عبد الرحمن بن ملجم (لعنه الله) عام 40هـ.

هذا الحدث حوّل "المحراب" من مجرد ركن في المسجد إلى رمز خالد للفداء والتضحية. أصبح "محراب الاستشهاد" أيقونة عالمية للعدل الذي قُتل في مكان عبادته. هذه الرمزية للمكان (المسجد والمحراب) أضافت إلى قدسيته الروحية (الموروثة من الأنبياء) بعداً تراجيدياً وسياسياً لا يزال يتردد صداه حتى اليوم، وجعلت المسجد رمزاً للحق الذي يُستشهد في سبيل إقامته.

2.6 استمرار الرمزية: منبر الحق عبر العصور

لم تنتهِ رمزية المسجد كـ "منبر للحق" باستشهاد الإمام علي (عليه السلام). بل ظلت هذه الرمزية مستمرة عبر التاريخ. وفي العصر الحديث، اكتسبت هذه الرمزية زخماً متجدداً، كما تُشير المصادر المرفقة (الكرعاوي، ج٥، ص ٢١٨)، عندما اعتلى منبره السيد محمد محمد صادق الصدر (قدس سره) مقيماً صلاة الجمعة، التي لم تكن مجرد شعيرة دينية، بل كانت فعلاً سياسياً واجتماعياً أعاد إحياء دور المسجد كمركز للتوجيه وقيادة المجتمع في مواجهة الظروف الصعبة. واستمر هذا الدور من بعده مع السيد مقتدى الصدر، مما يؤكد أن مسجد الكوفة ليس مجرد "أثر" تاريخي، بل هو "فاعل" مستمر في التاريخ.

الفصل الثالث: المعالم المادية والمعمارية

لا تنفصل القيمة الروحية والتاريخية لمسجد الكوفة المعظم عن هيبته المادية وخصائصه المعمارية الفريدة. يتميز المسجد بتصميم يجمع بين العراقة التاريخية المتجذرة في الأرض، والفخامة المعمارية التي تعكس عمليات التجديد المتعاقبة، والتي كان لجهود (طائفة البهرة) دور كبير في إبرازها بالشكل الحالي، مما حافظ على رونق المسجد وهيبته.

3.1 الموقع الجغرافي

يقع المسجد على بعد حوالي **1.5** كيلومتر من الضفة الغربية لنهر الفرات. هذا الموقع لم يُختر عشوائياً، بل جاء استكمالاً لأسس التخطيط الأول للمدينة التي نوقشت في الفصل الأول، والتي هدفت إلى اختيار أرض صحية مرتفعة، بعيدة عن رطوبة النهر المباشرة، وقريبة في نفس الوقت من مصدر المياه الحيوي، مما يضمن ديمومة الحياة في محيط المسجد.

3.2 فلسفة التصميم والمساحة

يعكس التصميم المعماري للمسجد فلسفة "المسجد الجامع" (Jami Mosque) في صدر الإسلام، والذي لم يكن مكاناً للصلاة فقط، بل ساحة عامة (Piazza). تبلغ المساحة الكلية بعد الإعمار الأخير حوالي 11,162 متراً مربعاً. يتجلى هذا بوضوح في التقسيم المساحي للمسجد، والذي تنقسم مساحته الكلية إلى منطقتين:

1. **المنطقة المكشوفة (الصحن):** تبلغ مساحتها 5,642 متراً مربعاً. هذا الصحن الواسع هو قلب المسجد النابض، وهو الساحة المخصصة للتجمع، والعبادة في الهواء الطلق، والتي كانت تاريخياً تستخدم أيضاً للتعبئة العسكرية واللقاءات العامة.
2. **المنطقة المسقفة (الأروقة):** تبلغ مساحتها 5,520 متراً مربعاً. توفر هذه المساحة الضخمة المأوى للمصلين، وتخلق بيئة روحانية عبر تصميمها المعتمد على الأقواس والأعمدة.

يحيط بالمسجد جدار ضخم ومهيب يبلغ ارتفاعه 10 أمتار، مما يمنح المسجد هيبة الحصن، ويعزل الفضاء المقدس بداخله عن ضجيج العالم الخارجي، ويخلق شعوراً بالانتقال إلى عالم آخر بمجرد عبور بواباته.

3.3 العناصر المعمارية: غابة الأعمدة

تعتمد المنطقة المسقفة في تصميمها على "غابة" من الأعمدة (Forest of Columns)، وهو تصميم كلاسيكي في العمارة الإسلامية المبكرة (كما في جامع قرطبة). يبلغ عدد الأعمدة الكلية في المسجد 187 عموداً، ترتبط ببعضها عن طريق 56 قوساً (عقداً). هذا التكرار الهندسي للأعمدة والأقواس لا يؤدي وظيفة إنشائية في حمل السقف فحسب، بل يخلق منظوراً بصرياً يوحي بالامتداد واللانهاية، ويساعد على نشر حالة من السكينة والخشوع في أرجاء المكان.

3.4 رمزية الأبواب: بوابات للتاريخ

للمسجد خمسة أبواب رئيسية، لا تمثل مجرد مداخل مادية، بل هي "بوابات" رمزية وتاريخية، يحمل كل منها دلالة خاصة:

1. **باب الحجّة (عجّل الله فرجه):** هو الباب الرئيسي، ويقع في منتصف الجدار الشمالي. تربط تسميته المسجد بعقيدة "الانتظار" في الفكر الشيعي، حيث يُعتقد أنه الباب الذي سيدخل منه الإمام المهدي (عج) عند ظهوره، مما يربط ماضي المسجد (عهد آدم وعلي) بمستقبله الأخروي.
2. **باب الثّعبان (أو باب الكندي):** يقع في الجدار الشمالي أيضاً، وتسميته ترتبط بالروايات التي تذكر إحدى كرامات الإمام علي (عليه السلام) في المسجد.
3. **باب الرّحمة:** يقع في الجدار الغربي، وهو اسم يحمل دلالة روحية عامة بالدخول إلى رحمة الله.
4. **باب مسلم بن عقيل:** يقع في الجدار الشرقي.
5. **باب هاني بن عروة:** يقع في الجدار الشرقي أيضاً، بالقرب من باب مسلم.

الأهم من ذلك، أن البابين الأخيرين (مسلم وهاني) يفتحان مباشرة باتجاه ضريحي الشهيدين مسلم بن عقيل وهاني بن عروة (عليهما السلام)، الملتصقين بالمسجد. هذا الاتصال المعماري المباشر يدمج قصة استشهادهما - وهي المقدمة التراجيدية لواقعة كربلاء - ضمن النسيج المادي والروحي للمسجد، ليصبح المسجد شاهداً أبدياً على تضحيتهما.

الفصل الرابع: المقامات والأماكن المباركة (قلب القداسة)

لا تقتصر عظمة مسجد الكوفة على مساحته المعمارية الشاسعة أو تاريخه السياسي، بل تكمن في كونه "متحفاً روحياً حياً" ومزاراً مقدساً. فالمسجد ليس مجرد فضاء عبادي واحد، بل هو كوكبة من المواقع والأماكن التي شهد كل منها حدثاً تاريخياً عظيماً أو ارتبط بمرور نبي أو وصي. هذه "المقامات" تحوّل المسجد من خاصة، حيث يمكن للزائر أن يتتبع خطى الأنبياء والأئمة، ويستحضر تاريخاً من القداسة (Pilgrimage) "مكان تُقام فيه الصلاة بشكل عام، إلى وجهة "زيارة" الممتدة من فجر البشرية.

4.1 المقامات النبوية (مقامات الأنبياء والملائكة)

- هذا المقام يؤسس للقدسية الأولى للمسجد، ويربطه بقصة عند الأسطوانة السابعة، ويُشار إليه كمكان "توبة" نبي الله آدم (ع). بمقام آدم (عليه السّلام) بالخطيئة الأولى والرحمة الإلهية الأولى. إنه يمثل نقطة البداية في تاريخ البشرية الروحي. وتقول الروايات أن آدم (ع) بعد هبوطه، تاب الله عليه في هذا الموضع.
- يقع ملاصقاً للمنبر، وهو تأكيد على الروايات التي تعتبر المسجد "بيت نوح" الذي منه انطلقت سفينة النجاة. قربه من المنبر، بمقام نوح (عليه السّلام). يرمز إلى أن هذا المكان هو مصدر للنجاة الروحية كما كان مصدراً للنجاة المادية من الطوفان.
- يقع عند الأسطوانة الرابعة أو الخامسة. هذا المقام يربط المسجد بـ "أبو الأنبياء" الذي اشترى أرض الكوفة، وهو بمقام النبي إبراهيم (عليه السّلام).

حلقة الوصل بين الديانات التوحيدية الكبرى.

- وجود مقام لسيد العارفين "الخضر" يضفي على المسجد بعداً روحانياً مستمراً، فهو يرمز إلى الحكمة الإلهية الباطنية. مقام الخضر (عليه السّلام) التي لا تنقطع، وأن المسجد ما زال مركزاً للفيض الروحي.
- يقع في وسط المسجد، ويشير إلى النقطة التي صلى فيها النبي (ص) بالأنبياء والملائكة. مقام النبي محمّد (صلّى الله عليه وآله وسلم) (دكة المعراج) أثناء رحلة الإسراء والمعراج، كما ورد في المقدمة. هذا المقام يربط مسجد الكوفة بالمسجد الحرام والمسجد الأقصى، ليصبح جزءاً من الجغرافيا المقدسة المركزية للإسلام.
- إنه تأكيد على أن هذه البقعة ليست .) : يقع عند الأسطوانة الخامسة، ويرمز لكون المسجد "مهبطاً" للوحي والملائكة. مقام جبرائيل (عليه السّلام مباركة بحضور البشر الصالحين فقط، بل هي محل نظر واهتمام من العالم السماوي.

مقامات الأئمة (عليهم السلام) 4.2

- متراً مربعاً، 797هذا هو قلب المسجد وذروة قدسيته الممزوجة بالفاجعة. تبلغ مساحة هذا المقام وحده. مقام أمير المؤمنين (عليه السالم) (المحراب) محراب الاستشهاد" الذي تمت 'باباً، مما يجعله مسجداً مصغراً داخل المسجد. إنه ليس مجرد "محراب صلاة"، بل هو 11عموداً و 48ويحتوي على مناقشته في الفصل الثاني. إن ضخامة المساحة المخصصة له تعكس الرغبة في تخليد الحدث الجلل الذي وقع فيه.
- يقع عند الأسطوانة الثالثة. هذا المقام يمثل استمرارية ارتباط أهل البيت (ع) بالمسجد حتى بعد انتهاء الخلافة. مقام الإمام زين العابدين (عليه السّالم) فهو يشير إلى النقطة التي كان الإمام السجاد (ع) يتعبد فيها، مما يرمز إلى أن المسجد ظل "ملاذاً روحياً" لهم رغم القمع السياسي.
- يقع قرب مرقد مسلم بن عقيل. هذا المقام له دلالة "معرفية" كبرى. فالإمام الصادق (ع) هو الذي روى جلّ. مقام الإمام الصادق (عليه السّالم) لعلوم آل محمد، "الروايات التي تؤسس لفضل المسجد وفضل الكوفة (كما سيأتي في الفصل السادس). وجود مقام له هنا يرمز إلى المسجد كـ "جامعة ومنبع للفقه والحديث.

المواقع الأثرية: تجسيد العدالة والكرامة 4.3

بالإضافة إلى المقامات، توجد أربعة أماكن أثرية تخلد أحداثاً محددة، وهي ذات أهمية كبرى في فهم دور المسجد وهي المنصة التي كان يجلس عليها أمير المؤمنين (عليه السلام) ليقضي بين الناس. إنها رمز "للعدل" العلوي، وتجسيد مادي للمسجد. دكة القضاء كمركز للسلطة القضائية، حيث يُفصل بين الحق والباطل.

2. مكان تخليد إحدى الكرامات والمعاجز الشهيرة المنسوبة للإمام علي (عليه السلام). تروي القصة أن فتاة اتُّهمت في عفتها، فأحضر بيت الطشت الإمام (ع) طشتاً من الماء وأمرها بالجلوس فيه، فخرجت منه "علقة" كانت سبب انتفاخ بطنها، مثبتًا بذلك براءتها. هذا الموقع يرمز إلى "العدالة الإلهية" التي تتجاوز الظواهر وتكشف الحقائق، ويؤكد على دور الإمام ككاشف للغمة.
3. وهو المحراب الذي كان الإمام (عليه السلام) يتنفل فيه (يصلي صلوات مستحبة)، ويرمز إلى البعد "العبادي الشخصي" والروحاني. محراب النافلة العميق لحاكم المسلمين، بعيداً عن مهام الحكم والقضاء.
4. إيذاناً ببدء الطوفان. وجود هذا الأثر المادي يجسد 'وهي بقعة منخفضة يُنزل إليها بسلم، وتعتبر النقطة التي "فار منها التنور. سفينة نوح (التنور) الرواية القرآنية والتاريخية (المذكورة في المقدمة) ويجعلها حية أمام الزائر.

إن هذا التوزع للمقامات والأماكن يحول السير في مسجد الكوفة إلى رحلة عبر الزمن، تبدأ من آدم (ع)، وتمر بنوح (ع) وإبراهيم (ع)، وتصل إلى ذروتها في عهد محمد (ص) وعلي (ع)، وتستمر مع الأئمة (ع)، مما يجعل كل شبر في هذا المسجد ناطقاً بالقداسة والتاريخ.

الفصل الخامس: المسجد عبر التاريخ (بعد عصر الخلافة)

لم تنتهِ مركزية مسجد الكوفة باستشهاد الإمام علي (عليه السلام) أو بانتهاء دوره كعاصمة للخلافة. بل إن قداسته المتجذرة وتاريخه السياسي العاصف جعلاه ساحة لتقلبات التاريخ ورمزاً تتنازعه القوى المختلفة، وشاهداً على أحداث جسام شكلت ملامح العالم الإسلامي في العصور التالية.

في العصرين الأموي والعباسي 5.1

في العصر الأموي، نظراً لكون الكوفة مركزاً للمعارضة العلوية، كان المسجد تحت رقابة سياسية مشددة، لكنه ظل محتفظاً بدوره كمركز ديني وفكري للمدينة. ومع ذلك، فإن التحول الأبرز جاء مع بداية العصر العاسي.

"استخدم العباسيون، في بداية دعوتهم، المسجد كمركز استراتيجي للانقضاض على الخلافة الأموية. لم يكن هذا الاختيار عفوياً؛ فالكوفة كانت تمثل "الشرعية هـ، صعد أول خليفة عباسي "أبو العباس السّفاح" المنبر، وأعلن قيام الدولة 132الهاشمية ومركز الثقل المعارض للأمويين. وفي هذا المسجد تحديداً، في عام العباسية. كانت تلك "بيعة" تاريخية، استُخدم فيها منبر الإمام علي (عليه السلام) لإعلان خلافة جديدة، في محاولة واضحة لاكتساب الشرعية الروحية والسياسية التي يمثلها المكان.

ورغم أن العباسيين سرعان ما نقلوا العاصمة إلى الأنبار ثم أسسوا بغداد، إلا أنهم أجروا إصلاحات وترميمات في المسجد، كنوع من إظهار الرعاية السياسية والسيطرة على هذا المركز الرمز.

حادثة القرامطة: الصدمة وانتهاك الرمز 5.2

يُعد الحدث الأخطر والأكثر غرابة في تاريخ المسجد هو ما وقع في "العصر القرمطي". والقرامطة هم حركة دينية وسياسية (تُنسب للإسماعيلية) أسست دولة في البحرين (شرق الجزيرة العربية) وكانت لها آراء فكرية راديكالية.

في حدث تاريخي مفصلي عام 317هـ (930م)، قام القرامطة بقيادة أبي طاهر الجنابي بغزو مكة المكرمة، وارتكبوا فظائع، وقاموا باقتلاع "الحجر الأسود" من ركن الكعبة المشرفة ونقله معهم. والأمر الذي يخص هذا البحث، هو أنهم جلبوا الحجر الأسود إلى مسجد الكوفة.

لم يكن اختيار الكوفة عشوائياً. أراد القرامطة، عبر هذا الفعل، ضرب "الشرعية" الدينية للعباسيين (القائمين على الحرمين) في بغداد، وخلق مركز "حج" بديل خطف" قداستين في آن واحد: قداسة الحجر (رمز التوحيد 'في العراق ذي الثقل الرمزي. لقد كان اختيار الكوفة (ذات الرمزية العلوية) بمثابة محاولة لـ الإبراهيمي) وقداسة الكوفة (رمز العدل العلوي)، ودمجهما في مركز جديد معادٍ للخلافة العباسية.

لقد بقي الحجر الأسود في مسجد الكوفة لمدة اثنين وعشرين عاماً، في واحدة من أغرب الحوادث في التاريخ الإسلامي. كان المسجد خلال عقدين من الزمن "مستودعاً" لأقدس مقدسات المسلمين، بعد أن انتُزع من مكانه الأصلي، مما يظهر مدى الرمزية التي رآها القرامطة في هذا المسجد كمركز بديل محتمل للعالم الإسلامي.

العصر البويهي: عودة الرعاية والاهتمام 5.3

بعد انتهاء حقبة القرامطة وما أحدثته من فوضى، جاء العصر البويهي (آل بويه)، وهم سلالة شيعية حكمت العراق وفارس (مع إبقاء الخليفة العباسي كرمز). شكل هذا العصر "عصراً ذهبياً" جديداً للعتبات المقدسة في العراق.

عُني آل بويه بشكل خاص بالعتبات في النجف وكربلاء، وامتد اهتمامهم ليشمل مسجد الكوفة. وقد أولى "عضد الدولة البويهي"، وهو من أقوى سلاطينهم، إعادة اعتبار" للمسجد بعد الانتهاك الرمزي الذي تعرض له في العصر 'اهتماماً كبيراً بالمسجد، فقام بترميمه وتوسعته. كانت هذه الرعاية البويهية بمثابة لقد أعاد البويهيون تثبيت مكانة المسجد كمركز رئيسي للعبادة والزيارة، وأكدوا على قداسته المتوارثة، في سياق سياسي يدعم هذا التوجه. القرمطي.

الفصل السادس: فضل المسجد ومكانته في الروايات والأحكام

لا تقتصر مكانة مسجد الكوفة على أهميته التاريخية والسياسية فحسب، بل تمتد لتشمل فضلاً دينياً استثنائياً تؤكده المصادر الروائية المعتمدة. هذه الروايات لا تأثر المباشر على العبادة، وتمنحه دوراً تربوياً (Sacred Geography) "تمنح المسجد مكانة تكريمية فقط، بل تضعه في مصاف "الجغرافيا المقدسة ومعرفياً، كما أشار الثويني (دور المساجد في التربية، ص ٥٥).

6.1 فضل العبادة: مضاعفة الأجر

تُجمع المصادر الحديثية، مثل "بحار الأنوار" للمجلسي، على أن العبادة في مسجد الكوفة لها فضل مضاعف لا يُضاهى إلا في قلة من الأماكن. يُروى عن الإمام المجلسي، بحار الأنوار، ج١٠٠، ص٤٠٥) "الصلاة الفريضة فيه تعدل بألف صالة، والنافلة بخمسمائة صالة" :الصادق (عليه السلام) قوله).

هذا التفضيل العددي ليس مجرد ترغيب في العبادة، بل هو "تقييم إلهي" لقيمة المكان. إن الصلاة فيه تعادل "ألف صالة" مما يعني أن البقعة نفسها تساهم في رفع قيمة العمل. هذا يضع المسجد في مرتبة روحية تالية للمسجد الحرام (الذي تعدل الصلاة فيه مئة ألف صلاة) والمسجد النبوي (عشرة آلاف صلاة)، ويجعله أحد أقدس بقاع الأرض للعبادة.

6.2 مركزيته في خارطة المساجد المقدسة

، "أحد المساجد الأربعة" :تؤكد الروايات على أن مسجد الكوفة هو ركن أساسي في "خارطة المساجد" الكبرى. يُروى عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أنه قال مشيراً إلى (المسجد الحرام، والمسجد النبوي، والمسجد الأقصى، ومسجد الكوفة).

هذا الوصف ينقل المسجد من كونه "وسطه روضة من رياض الجنة" :كما أن الروايات تضفي عليه صفة "جنة أرضية"، ففي تتمة الرواية عنه (عليه السلام) ، وهو "ألف نبي وألف وصي" اتصالاً" مباشراً بالعالم السماوي. وتضيف الروايات بعداً تاريخياً لهذه القدسية، بكونه مصلى لـ "بناءً دنيوياً إلى كونه "بوابة" أو ما يؤكد على فكرة "تراكم القداسة" التي نوقشت في الفصول السابقة، وأن هذا المكان هو ملتقى الأنبياء والأوصياء.

6.3 أرض الأنبياء والربط بالغري (النجف)

وتوضح "...مسجد الكوفة بيت نوح" :تربط الروايات بشكل وثيق بين قدسية الكوفة (كمدينة ومسجد) وقدسية الغري (النجف). يقول الإمام الرضا (عليه السلام) مصادر أخرى مثل "فرحة الغري" لابن طاووس أن هذه المنطقة هي مركز لمدفن الأنبياء الأوائل.

يشير ابن طاووس إلى الارتباط الوثيق بينهما كونهما مدفناً لآدم ونوح وأمير المؤمنين (عليهم السلام) (ابن طاووس، فرحة الغري، ص ٩٨). هذا التجاور ثنائية الحياة والموت، :الغري" (مركز الدفن والمقام الأبدي) يخلق ثنائية فريدة "الجغرافي والروحي بين "مسجد الكوفة" (مركز الحكم والحياة والعبادة) و والحكم والشهادة، والدنيا والآخرة، مما يجعل المنطقة بأسرها حرماً مقدساً.

6.4 آداب المسجد وأحكامه الخاصة

فمن أحكام فقهية" خاصة ودقيقة تعكس مدى الهيبة التي يجب أن تُعطى لهذا المكان "إن هذه القدسية الفائقة لم تبقَ في إطار الفضل الروحي فقط، بل تحولت إلى دقة قدسية البقعة، وردت آداب خاصة بها.

ينقل ابن الخراط مثالاً دقيقاً على هذه الهيبة، حيث يروي عن عبد الله بن مسعود أنه نهى عن الاهتمام بأمور الدنيا أو حتى الاستناد إلى جدار القبلة في وقت معين (ابن الخراط، الأحكام الشرعية الكبرى، ج٢، ص ٨٩). هذا الحكم لا "لا تحولوا بين الملائكة وبين صلاتها" :(بين الأذان والإقامة)، معللاً ذلك بتعليل سماوي رفيع نجده في المساجد العادية، وهو يدل على أن المسجد، في منظور الروايات، هو مكان ذو كثافة روحية عالية، تحضره الملائكة بشكل استثنائي، مما يستوجب على الحاضرين فيه أعلى درجات الأدب والتعظيم.

الفقهية المستحبة بزيارة المسجد ارتباطاً وثيقاً بمقاماته (التي ذكرت في الفصل الرابع)، حيث يُستحب للمصلي أن يتنقل بين "علاوة على ذلك، ترتبط "الأعمال المقامات ويصلي ركعتين عند كل مقام (مقام آدم، مقام إبراهيم، مقام الصادق...إلخ)، كل منها بنية خاصة ودعاء مأثور. هذا يحول العبادة في المسجد من مجرد روحية شخصية عبر تاريخ الأنبياء "صلاة جماعية إلى "رحلة.

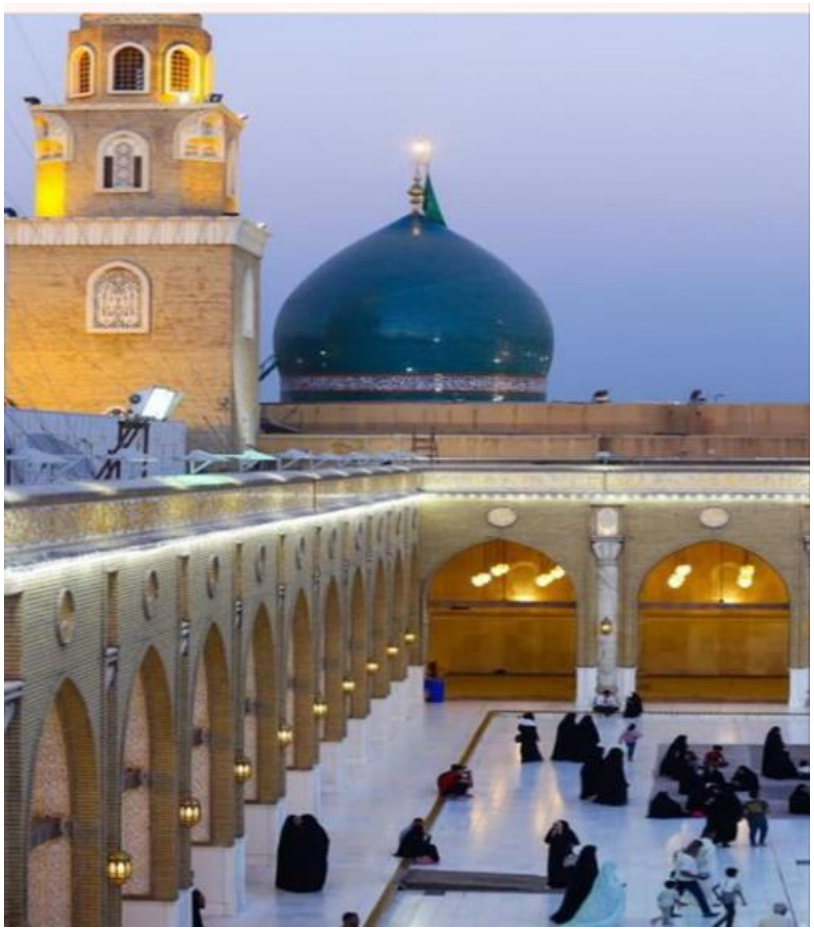

الخاتمة

في ختام هذا البحث، نصل إلى نتيجة مفادها أن مسجد الكوفة المعظم ليس مجرد صرح معماري أو أثر تاريخي، بل هو "أرشيف حي" للذاكرة الروحية والتاريخية للأمة، ورمزٌ يتجاوز حدود الزمان والمكان. يجيب هذا البحث عن الإشكالية التي طُرحت في مقدمته كيف حافظ المسجد على مركزيته الروحية والرمزية رغم التقلبات السياسية العنيفة؟

التي تغلغلت في نسيج هذا المكان. فالبحث أظهر أن قدسية المسجد لم تُبنى على حدث واحد، بل هي طبقات متراكمة (Accumulation of Sanctity) 'تكمن الإجابة في "تراكم القداسة'.

1. كأرض باركها الله وبيت للأنبياء (كما فمنذ ارتباطه بنبي الله آدم ونوح وإبراهيم، اكتسب المسجد قدسية "تكوينية :الطبقة التأسيسية (قبل الإسلام) .بُحث في المقدمة والفصل الرابع)
2. جاء التأسيس الإسلامي في عهد سعد بن أبي وقاص (الفصل الأول) ليجعله مركزاً لأحد أوائل الأمصار الإسلامية، ونواة :الطبقة الإسلامية (التأسيس) .لمجتمع جديد
3. وهي الطبقة الأكثر تأثيراً. فباتخاذه مقراً للخلافة، حوله الإمام علي (عليه السلام) من "مسجد مِصر" إلى "عاصمة :الطبقة الذهبية (الخلافة العلوية) العالم الإسلامي". ومن خلال منبره (كمركز للعدل) ومحرابه (كمكان للاستشهاد)، انطبعت هوية المسجد إلى الأبد برمزية "العدالة" و "الفداء" .(الفصل الثاني)
4. فكل مقام من مقامات الأنبياء والأئمة (الفصل الرابع) هو تثبيت مادي لهذه الذاكرة الروحية، مما يجعل العبادة فيه رحلة :الطبقة الروحية (المقامات) .عبر تاريخ الأديان، ويقدم تجسيداً لقصص الكرامة والعدالة (كدكة القضاء وبيت الطشت)
5. أثبت المسجد قدرته على البقاء كرمز حتى بعد أفول دوره السياسي. فاستخدامه من قبل العباسيين، وانتهاكه من قبل :الطبقة التاريخية (الصمود) القرامطة (في حادثة الحجر الأسود)، ورعايته من قبل البويهيين (الفصل الخامس)؛ كلها أحداث تؤكد أن السيطرة على المسجد كانت دائماً هدفاً لمن .'أراد السيطرة على "الرمز
6. أخيراً، جاءت الروايات والأحكام (الفصل السادس) لتختم على هذه القدسية، وتمنحها بعداً عبادياً (كألف صلاة) وتضعها في :الطبقة الفقهية والروائية .مصاف المساجد الأربعة الكبرى، وتحدد لها آداباً خاصة تليق بمقامها

وبناءً على ما تقدم من مصادر، من "بحار الأنوار" إلى "فتوح البلدان"، يؤكد البحث أن مسجد الكوفة هو أرشيف للذاكرة الروحية والتاريخية للأمة. فهو ليس مجرد شاهد على تأسيس ثاني مدن الإسلام، أو مركزاً لخلافة تاريخية، بل هو بقعة مباركة ارتبطت بها مصائر الأنبياء والأوصياء. ولا تزال هذه البقعة، بفضل ما .تحمله من فضل رواني ومعالم معمارية، مركزاً للإشعاع الديني والمعرفي، وشاهداً حياً على أن للعدالة صوتاً لا يموت، حتى وإن استُشهد في محرابه

قائمة المصادر والمراجع

1. .القرآن الكريم (سورة المؤمنون، سورة البقرة، سورة الرعد، سورة النحل، سورة نوح، سورة التين)
2. .ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٧ ، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨)
3. .ابن منظور، لسان العرب، الجزء ٩ ، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٩٨٨)
4. .ابي الحسن البالذري، فتوح البلدان، تعليق : رضوان محمد رضوان، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ١٩٨٧م)
5. .) الثويني، وليد عطا سلمان فهد، دور المساجد في التربية، (بغداد: ديوان الوقف السني، ٢٠١٢م
6. .الكرعاوي، صالح نغماش خلف حمد، خواطر وذكريات من تاريخ الكوفة، الجزء ٥ ، (النجف الاشرف: مطبعة شركة المارد العالية ، ٢٠٠٦م)
7. .المجلسي، محمد باقر، بحار النوار الجامعة لدرر الخبار الائمة الأطهار، الجزء ١٠٠ ، (بيروت : مؤسسة الوفاء ، ط٣، ١٩٨٣م)
8. .ابن الخراط، عبد الحق بن عبد الرحمن الاشبيلي، الاحكام الشرعية الكبرى، تحقيق: محمد عثمان، المجلد ٢ ، (بيروت: دار الكتب العلمية ، ٢٠١٠م)
9. ابن طاووس، عبد الكريم بن طاووس الحسني، فرحة الغري في تعيين قبر امير المؤمنين علي (عليه السالم)، تحقيق : تحسين ال شبيب الموسوي، (د.م: .مطبعة محمد ، ١٩٩٨م)
10. بيروت: عالم الكتب للطباعة والنشر)صالح، عمر امجد، نشأة الثقافة العربية الاسلامية في الكوفة في صدر السالم(١٧ - ١٣٢ هـ/ ٦٣٨ - ٧٤٩ م، والتوزيع، ٢٠١٣ .
11. .)لجنة التأليف، دور المساجد في حياة المسلمين، (مطبعة الستارة، ٢٠٠٧م